أحمد ياسين.. ماذا بعد؟

القدس تبكيه وقلوب الأمة

في أروع مشهد كان لقاؤه بربه، وكان إعلان حياته الأبدية يرزق عند ربه راضيا مرضيا!.

كانت الخسة النازية اليهودية الغازية تظن أنها ستقتلع المقاومة الإسلامية في فلسطين المحتلة باغتيال مؤسس حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، ولكن النتيجة جاءت وستجيء على عكس ما يتوقعه النازيون اليهود الغزاة.

كان الرجل في آخر لحظات حياته في لقاء مع ربه، صلى الفجر، وخرج على كرسيه المتحرك ذاهبا إلى بيته، ومعه مرافقوه يحيطون بالكرسي ويدفعونه، ففاجأتهم صواريخ الغدر والكراهية من الطائرة النازية اليهودية الغازية، فنقلتهم من حياة الجهاد إلى حياة الشهداء، وشهد العالم كله بالصوت والصورة جرائم الكيان اليهودي الإرهابي الذي تغذيه دولة الشيطان الأكبر بالمال والسلاح والتأييد، وتدافع عنه سياسيا ودبلوماسيا وعسكريا.

إن الشيخ «أحمد ياسين» لم يكن مجرد قائد أو رئيس لمنظمة مقاومة فلسطينية، ولكنه كان رمزًا للصمود الإسلامي في مواجهة الغزو النازي اليهودي، في وقت انبطحت فيه معظم الحكومات العربية والإسلامية، واستسلمت للعدو الصهيوني، وسيده العدو الصليبي الاستعماري.

إسقاط هذا الرمز كان غاية صهيونية وصليبية منذ زمان بعيد، وهم –أي

الأعداء- يتصورون أن استشهاد الشيخ «أحمد ياسين» سيوقف المقاومة، ويدفع الفلسطينيين إلى الركوع والاستسلام، لقد خاب ظنهم، فعندما أعلن نبأ استشهاد الشيخ ومرافقيه خرج الشعب الفلسطيني عن بكرة أبيه يلعق جراحه، ويعلن المقاومة، والتوحد تحت رايتها، ويؤكد على عبثية مشروعات الاستسلام والتصفية التي تروج لها بعض الجهات الأجنبية والعربية والفلسطينية.

يوم استشهد القائد المجاهد «عز الدين القسام» ظن النازيون اليهود الغزاة وسادتهم من الصليبيين الاستعماريين أن المقاومة الفلسطينية قد انتهت، ولكن الشعب الفلسطيني واصل المقاومة، وبرز أبطال عديدون يقدمون أرواحهم فداءً للقدس وفلسطين.

المفارقة أن ظهور الشيخ «أحمد ياسين» قلب المعادلات الاستعمارية النازية في فلسطين، وبعد أن كان العدو على لسان زعمائه لا يعترف بشعب اسمه شعب فلسطين، كما ورد على لسان الإرهابية «جولدامائير» مثلاً، فإن الشعب الفلسطيني وبالمقاومة الإسلامية، استطاع أن يرغم النازيين اليهود الغزاة وسادتهم الأمريكان، على الاعتراف بالشعب الفلسطيني، والحديث عن إقامة دولة في الضفة الغربية وقطاع غزة!

كان «أحمد ياسين» معبرًا عن ضمير الأمة الإسلامية، حين أعلن أن فلسطين إسلامية، وأنه لا يجوز لأحد أيا كان أن يتنازل عنها. لم يكن كلامه عاطفيًا، أو خطابيًا، ولكنه كان نابعًا عن رؤية الإسلام التي ترفض التفريط في المقدسات والأرض والعرض، وكان فهمه العميق لروح الإسلام من وراء تأسيس منظمة «حماس» التي تمددت في شرايين الجسد الفلسطيني، وتؤمن أن استعادة فلسطين لن تتم إلا بالشهادة والدم والصبر، وهو ما جعل الأعداء يستشعرون لأول مرة الخطر الحقيقي على وجودهم الإجرامي في فلسطين، ومن ثم، كان الإرهاب النازي اليهودي يتصاعد في إجرامه اليومي، ويتجاوز كل

الأعراف والقوانين والأخلاق، ويستخدم كل الوسائل المحظورة والمرفوضة في استئصال المقاومة واغتيال عناصرها، يؤيده «الشيطان الأكبر» والحكومات الصليبية الاستعمارية!

لقد اغتيل كثيرون من عناصر المقاومة وقادتها، وتعرض هو لأكثر من محاولة اغتيال، ولكنه نجا بفضل الله، حتى انتهى أجله المحتوم بعد صلاة الفجر يوم ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤م.

إن حياة الشيخ «أحمد إسماعيل ياسين» منذ مولده، في قرية الجورة بالمجدل عام ١٩٣٨، وهجرته مع أسرته إلى قطاع غزة عام ١٩٤٨ بعد سقوط معظم فلسطين في قبضة العدو النازي اليهودي، كانت سلسلة من الابتلاءات والاختبارات، فقد أصيب بالشلل التام عقب ممارسته للعبة رياضية. وفقد إحدى عينيه تماما، وضعفت عينه الأخرى، وعانى من آلام معوية وحساسية في الصدر، حتى صار قعيدًا لا يتحرك إلا على كرسيه الذي يدفعه مرافقوه في الاتجاه الذي يريد، ولكنه مع ذلك كان مدرسًا ناجحًا وخطيبًا مشهورًا، بل كان أشهر خطيب في غزة كلها، وأسس المجمع الإسلامي الذي صار خلية نحل يؤمها الفلسطينيون من جميع أنحاء القطاع، وحين سكن في مكان مهجور حوله إلى واحة خضراء غناء تستقبل البشر والمحبين. ولم تمنعه فترات الاعتقال والسجن عن مواصلة تعميق الوعي الفلسطيني بإسلامية القضية، وضرورة الجهات واستمراره حتى تتحرر القدس وفلسطين.

لقد أثبت اغتيال الشيخ أحمد ياسين أو استشهاده عدة أمور أهمها:

- أن العدو النازي اليهودي في فلسطين لا يعرف شيئا اسمه السلام، ولكنه يؤمن بالقوة والسيطرة والهيمنة وإذلال الفلسطينيين والعرب والمسلمين، وأنه في سبيل ذلك لا يتورع عن استخدام كل الوسائل القذرة والمستهجنة، وأنه يضرب عرض الحائط بكل القوانين الدولية والشرائع الإنسانية، وأنه

لا يفهم غير لغة واحدة هي القوة ولا شيء غير القوة.

- أن الولايات المتحدة هي ظهير صليبي استعماري، يدفع العدو النازي اليهودي دفعًا إلى ممارسة تجليات القوة ضد العرب والمسلمين، ولهذا فلا يمكن أن تكون وسيطا نزيهًا فيما يسمى عملية السلام.
- أن السلطة الفلسطينية المحدودة، لم تحقق للشعب الفلسطيني أية مكاسب إيجابية، بل إنها قدمت العديد من التنازلات (الاعتراف بالعدو – التنازل عن القدس باستثناء جزء من المسجد الأقصى – التنازل عن حق العودة...) وهو ما يعني أن دورها يجب أن يتوقف لتتاح الفرصة للشعب الفلسطيني كي يواصل المقاومة.
- أن موقف الدول العربية والإسلامية في مجموعه هو موقف مخز ومتخاذل، وأن دور الشعوب الإسلامية قد بدأ لأخذ زمام المبادرة لمساعدة الشعب الفلسطيني في مقاومته الباسلة حتى يتحقق النصر بإذن الله.
- أن شارون هو بيريز هو موفاز هو أولمرت هو يوسي بيلين هو كل يهودي نازي مستعمر.....

obeikandl.com

أنور الجندي

الموسوعة الشاملة

في الثامن والعشرين من يناير ٢٠٠٢م، مضى إلى ربه، كاتب إسلامي أثار كثيرًا من الضيق للتيارات التغريبية المعادية للإسلام، وحظي بنصيب وافر من الهجوم والهجاء، وقد رحل في صمت، ولم تهتم به الصحف، اللهم إلا سطور النعي التي تنشرها نقابة الصحفيين والمجلس الأعلى للصحافة عند رحيل أي عضو في النقابة، وهذا الخلل المزمن في الواقع الثقافي بعامة يرجع إلى أسباب عديدة لا مجال للحديث عنها، ولكنه يشير إلى تعصب مقيت أو ضيق أفق يجعل المخالفين في الرأي أو الخصوم الفكريين في منزلة الأعداء التاريخيين الذين يجب محو آثارهم جملة وتفصيلاً، حتى لو امتلكوا أسبابًا موضوعية لمواقفهم وتوجهاتهم.

لم يكن «أنور الجندي» وحده في هذا السياق، ولكنه مجرد نموذج لمن يرحلون ولا يذكرهم أحد، مع أن الأصول المهنية والحرفية في المجال الإعلامي والصحفي تقضي بتقديم الأخبار المحبوبة والمكروهة، وتناول الظواهر كافة، بما يتيح تقديم الخدمة الإعلامية و الصحفية على أكمل وجه، أو بصورة متكاملة. ولكن عاطفة الحب ونقيضه، رسخت أقدامها في حياتنا الثقافية، فأصبح النفي والصمت والتجاهل من أقوى الأسلحة التي يستخدمها الفريق المهيمن، ضد الفريق المتفرج!.

لقد أشعل «أنور الجندي» كثيرًا من المعارك الأدبية والفكرية، وطرح العديد من القضايا الثقافية للحوار والنقاش. وظل يكتب ويؤلف وينتج حتى رحيله، ومع ذلك لم يحظ باهتمام يعادل عشر ما يحظى به فنان مغمور أو لاعب كرة قدم في كفر البلاص، وقد يبدو كلامي لا مسوغ له، في واقع ينال فيه الفنانون واللاعبون عظيم الاهتمام والحفاوة، وتظهر فيه أهمية من ينتمون إلى أحزاب أو جماعات أو هيئات تتولى التعبير عن المنتسبين إليها والمنتسبين إلى هياكلها، فضلاً عن إجادة العلاقات العامة من جانب هؤلاء في حياتهم، وقدرتهم على المواءمة بين توجههم وواقع الحال. وهو ما يفتقده «أنور الجندي»، مع أنه كان صحفيًا معروفًا، و كان سكرتيرًا لتحرير صحيفة يومية هي «الجمهورية» في بعض مراحلها، وكتبه ومؤلفاته ومقالاته تثير من الضجيج أكثر ما تثير من الصمت. أعلم أن الأدب والفكر والثقافة بصفة عامة، لا قيمة لها في واقع له أولويات أخرى، تجعل من مسلسل تلفزيوني أكثر أهمية من جميع ما كتبه العقاد والرافعي والمنفلوطي وهيكل وشوقي وحافظ ومطران ومحرم وبقية الرواد والبناة والأجيال اللاحقة، ولكن من قال: إنه يجب الاستسلام لهذا الواقع؟

إن حرية الفكر، أو التسامح الفكري الحقيقي يفرض علينا أن نهتم بجميع من يعملون في حقول الثقافة المختلفة، ونتعرف عليهم شئنا أم أبينا، أحببنا أم كرهنا، لأن ذلك يضيف إلينا، ويكشف لنا مناطق مجهولة، ويضيء مساحات معتمة.

ولد «أحمد أنور سيد أحمد الجندي» بقرية النخيلة –محافظة أسيوط– عام ١٩١٧، وحصل على دبلوم التجارة عام ١٩٣٤، وعمل بعد تخرجه ببنك مصر، ثم انتقل إلى الصحافة، حتى استقر به المقام في جريدة «الجمهورية» وظل بها إلى سن التقاعد، حيث تفرغ للكتابة والتأليف.

لقد نشأ «أنور الجندي» في بيت علم ودين، فتعرف على التراث مبكرًا، كما تعرف على قضايا وطنه وقومه، وهو ما مهد الطريق لينشغل بالقضايا العامة، وينخرط بعدئذ في حزب «مصر الفتاة» ويتعلق بزعيمه «أحمد حسين»، وقد فرح بالثورة (١٩٥٢) في بداياتها، وأيدها مثلما فعل المصريون، ولكنه أخذ موقفًا مخالفًا حين تحولت إلى مسارات واتجاهات معاكسة لأماني المصريين، وكثرت التجاوزات ضد المثقفين والمفكرين والسياسيين. وقد كان لموقفه رد فعل ظهر بوضوح في مجال عمله الصحفي، حيث منع من الكتابة، وضيق عليه.

وفي مقتبل عمره قبل الثورة، تعرض للاعتقال، ولكن هذا لم يثنه عن اعتقاده بضرورة نهضة مصر بوصفها قيادة الأمة الإسلامية، وكي يتحقق ذلك لابد لمصر من ثقافة إسلامية أصيلة تأخذ من تراثها الناضج، وتستفيد مما لدى الأمم الأخرى علميا وفكريًا ويخدم نهضة الوطن.

وقد تأكد هذا الاعتقاد في الفترة الناصرية، حيث استفاد من المنع والتضييق في العمل الصحفي، بالتوجه نحو الكتابات الأدبية والإسلامية، فتناول الكثير من القضايا المجهولة أو المبهمة، وأضاءها، وقدمها في أصولها وملامحها الحقيقية، وأرخ لكثير من الظواهر، وصحح العديد من المفاهيم، وترجم لكثير من الأعلام المنسيّين، وخاصة رواد النهضة الإسلامية الحديثة في شتى المجالات.

وقد ساعده على كثرة الإنتاج الفكري الذي تجاوز مائتي كتاب، نظام يومي شبه ثابت للعمل والقراءة والاطلاع، بالإضافة إلى اتصال مباشر بمعظم رواد النهضة الفكرية والأدبية.

لقد ساعدته حياته البسيطة، وكان يسكن في حي الطالبية بالهرم، أيام كان حيا ناشئًا وهادئًا وفسيحًا، على العمل بهدوء، لقد كان يصحو مع الفجر وينام مع العشاء، وفيما بينهما يصعد إلى مكتبته الضخمة يقرأ ويكتب دون كلل أو ملل. كان لا يغادر المكتبة، وخاصة بعد إحالته على التقاعد، إلا إلى مبنى دار

الكتب، حيث يركب الأتوبيس من الهرم إلى التحرير، ثم يواصل إلى الدار، وكان أحيانًا يهبط من الأتوبيس قبل وصوله إلى التحرير ليقضي الساعات في معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، حيث يضم هذا المعهد مكتبة ضخمة للدوريات العربية والأجنبية (قيل إن الفئران استطعمتها في فترة القطيعة العربية مع مصر عقب الصلح مع الكيان الصهيوني!)، ومكتبة أخرى كبيرة للتاريخ، وفي المكتبتين، فضلاً عن دار الكتب، كان أنور الجندي ينقب ويفتش عن القضايا والأحداث التي تخرج إلى الناس فتثير اهتماماتهم أو تضيف إلى معلوماتهم.

وكانت علاقاته بالأدباء والكتاب والمفكرين في مصر والعالم الإسلامي، ممتدة ومتواصلة، وأتاحت له –وخاصة في أثناء عمله بالصحافة– أن يلتقي وجهًا لوجه بصانعي الأفكار ومنتجي الآداب، فكان يناقش ويحاور ويتعرف، ولعل هذا كان واحدًا من العوامل التي أهلته لحضور المؤتمرات والندوات والملتقيات الثقافية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، ومشاركته الفعالة بالبحوث أو المداخلات.

ولا ريب أن الحياة البسيطة التي كان يعيشها «أنور الجندي» ساعدته أيضًا على تحقيق الاستقلال الإنساني والفكري، فقد تعفف عن الطلب والرجاء ممن بيدهم المنح والعطاء –لقد ارتضى معاشه البسيط ينفق منه على أسرته دون أن يمد يده إلى أحد، راضيًا بما قسم الله له، بل أذكر أنه كان غزير الكتابة إلى الصحف والمجلات العربية، ولكنه لم يطالب يومًا بمكافأة أو أجر على ما كتب، لدرجة أن مجلة «منار الإسلام» التي تصدر في دولة الإمارات العربية فاجأت قراءها يومًا بإعلان يطلب من «أنور الجندي» أن يوافيهم بعنوانه ليرسلوا إليه مستحقات تراكمت لديهم، ولم يستطيعوا إرسالها لعدم معرفتهم بالعنوان! لقد كان متقشفًا زاهدًا لدرجة أنه في مرضه الأخير تدخل البعض لتتحمل نقابة

الصحفيين بعض ثمن الدواء، ولكنه وفر على الجميع مشقة الحرج، وقابل ربه راضيًا مرضيًا -بإذنه تعالى- بعد ثمانين عامًا من الكفاح الشريف النظيف العفيف.

من أبرز معاركه الأدبية -إن صح وصفها بذلك- ما كتبه عن «طه حسين». لقد أصدر كتابين عن الرجل، فصدرت منهما طبعات عديدة، وقد أحدث صدورهما ردة فعل عنيفة من تلامذة طه، وأنصار التغريب بصفة عامة، وللأسف، فإن الثائرين على «أنور الجندي» لم يناقشوا القضايا التي طرحها، بل اتجه معظمهم إلى هجاء الرجل، أو هجاء الإسلام نفسه!

كانت مهمة «أنور الجندي» الأساسية، وخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة، هي مكافحة «التغريب» الذي تتبناه بعض النخب الثقافية، بقصد التبعية للغرب والذوبان فيه، دون التفات إلى خصائصنا القومية وشخصيتنا الثقافية، فلاقى من هذه النخب كثيرًا من العنت والهجوم، وقد وصل الأمر، كما شهدت بنفسي في أثناء مناقشة رسالة جامعية، وكان الرجل -يرحمه الله- يحضرها، أن أشار أحد المناقشين إلى بعض كتبه بصورة مسيئة للرجل الذي كان يجلس في الصف الأمامي قبالته!

ما كتبه «أنور الجندي» عن «التغريب» أو «الغزو الفكري» أكدته وقائع الأيام الراهنة، حيث يسعى خصوم الأمة إلى تغيير ثقافتها وفكرها تغييرًا جذريًا -كما يقولون- والتدخل في مناهجها التعليمية، بما يحقق لسادة العالم غاياتهم المرجوة!

ويبقى أن من أهم ما صنعه «أنور الجندي»، هو تقديم الثقافة العربية الإسلامية، من خلال جهد معجمي كبير، أشرت إليه تفصيلاً في دراستي المنشورة بمجلة «الأدب الإسلامي» -عدد ٣٣ = ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م- ومنه «معلمة الإسلام» و «مقدمات العلوم والمناهج» في أربعين جزءًا، ومجموعة

التأريخ لعلماء الإسلام وقادته ومثقفيه في العصر الحديث، وسلسلة «قضايا إسلامية»، وموسوعة «القرن الخامس عشر الهجري»، وسلسلة «في دائرة الضوء».

لقد شارك «أنور الجندي في التأريخ لأدبنا الحديث وأعلامه، كما أعطى للصحافة جزءا لا يستهان به من اهتمامه، فكتب عن تاريخ الصحافة الإسلامية، ويعد أبرز من كتب عن صحيفة «المنار» لرشيد رضا، كما كتب عن «الصحافة المسمومة» وترجم للعديد من الصحفيين..

وفي الجانب الإنساني، لمست منه الكثير من العطف والمروءة، فقد وقف إلى جانب العديد من طلاب العلم، والباحثين في الدراسات العليا، وبعضهم صار الآن نجما مضيئًا، كما كان مجاملاً إلى أقصى درجات المجاملة، وكان يقسم دخله بين أسرته وكتبه، فأسرته لها الكفاف، وكتبه لها الإنفاق حتى تظهر للناس بصورة وخرى محتسبًا ما ينفقه عند ربه وجل وعلا، فقد وهب حياته لخدمة الإسلام والمسلمين، دون من أو أذى أو مفاخرة.

رحم الله أنور الجندي

obeikandl.com

أبو الحسن الندوى

هيبة الدعوة وزهد الداعية

في الثالث والعشرين من رمضان المبارك ١٤٢٠هـ الموافق آخر يوم في عام ١٩٩٩م، غادرنا إلى الرفيق الأعلى سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسنى الندوى، الداعية الإسلامي المعروف، في مدينة لكنهئو بالهند، بعد حياة حافلة بالعلم والدرس والجهاد، امتدت نحو خمسة وثمانين عامًا، وشملت أرجاء العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه.

ولد الشيخ أبو الحسن في قرية (تكية) من مديرية «رائن بريلي» من الولاية الشمالية؛ في المحرم من عام ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م، وينتسب إلى أسرة ذات أصل عربي عريق تعيش في الهند منذ قرون. واشتهرت بالأخلاق الكريمة والالتزام بمبادئ الإسلام والمشاركة في الجهاد، ونال العديد من رجالها شرف الشهادة في سبيل الله.

وقد تربى الشيخ أبو الحسن تربية إسلامية صافية، ودرس العربية وآدابها دراسة عميقة في دار العلوم وندوة العلماء وجامعة لكنهئو ولاهور، وتفوق في دراسته، وشهد له أساتذته، وجمعت ثقافته بين العلوم الإسلامية مثل التفسير والفقه والتاريخ والأدب، والثقافة العصرية، وتأثر بالعديد من أعلام عصره المشاهير من أمثال شاعر الإسلام الكبير محمد إقبال والشيخ عبد الرحمن المبارك كفوري والشيخ حسين أحمد المدني والشيخ حيدر حسن خان.. وقد بدأ تأثره

بإقبال واضحًا في كتاباته ومحاضراته.

والرجل في سيرته مثال رفيع للداعية الزاهد الذي يرجو ما عند الله لا ما عند الناس، فملأ حبه القلوب واجتمعت حوله الأفئدة، وتحققت فيه هيبة الدعوة وزهد الداعية، وقد سعدت بلقائه والجلوس إليه في أكثر من مناسبة، فرأيت فيه التواضع الجم، ودماثة الخلق والذكاء الفطري الذي يشع من عينيه.. ثم رأيته وهو صاحب الجسد النحيل والملبس الخشن، يفرض على الآخرين احترامه وتقديره، وعرف عنه الناس إخلاصه للدعوة طاعة لله وامتثالاً، ولم يعرف عنه الرياء أو حب الشهرة، كما يفعل بعض الناس في مجال الدعوة. وكان عفًا ونظيفًا ومترفعًا، ولعله من القلة التي حظيت بترحيب الحكام وتقديرهم على امتداد العالم الإسلامي.

ولعل السر في كل هذا يكمن في زهده وتقشفه وورعه. رأيته في بنجلاديش يحضر مؤتمرًا أدبيا استضافته جامعة إسلامية خاصة –فقيرة في مواردها– يرفض النزول في فندق، وينزل ومن معه في غرفة من الغرف المخصصة للطلاب مفروشة بفرش متواضعة للغاية، ويأكل من طعام الطلاب، وهو طعام متواضع للغاية أيضاً.

وكان عضوًا بأحد المجالس الإسلامية في دولة عربية غنية، فيأبى النزول في الفندق الفخم المخصص له ولأمثاله من الضيوف الكبار، ويفضل الإقامة في سكنى بعض الطلاب أو العاملين الهنود... ثم إنه كان يرفض المكافآت أو البدلات المخصصة لأعضاء هذه المجالس.

كانت عربيته فصيحة سليمة متدفقة، متينة التركيب، بعيدة عن الحشو، ولا يخطئ حين يرتجل، ويكاد إتقانه لها يفوق لغاته الأصلية، الأردو والفارسية والإنجليزية، ويحفظ كثيرًا من الشعر العربي القديم ويستشهد به، وقد كتب بالعربية أكثر من عشرين كتابًا، بالإضافة إلى كتبه الأخرى التي كتبها بغير

العربية وترجم إليها كثير منها.

وفي الندوات والمؤتمرات كان حريصًا على الإشادة بلغة القرآن والدعوة إلى الحفاظ عليها والاهتمام بها وبأدبها.

وكان مهمومًا بمشكلات المسلمين العرب وخاصة مشكلة فلسطين، وألف حولها أكثر من كتاب ورسالة، وكانت أكثر زياراته للبلاد العربية وكان يعلق على الأزهر أملاً كبيراً.

أنشأ رابطة الأدب الإسلامي العالمية لتقود حركة التجديد للأدب العربي خاصة والإسلاميّ عامة، وتعيد إليه روح التوهج والإشراق، من خلال فهم واع عميق، لرسالة الأدب ودوره الاجتماعي.

كما أسهم في العديد من النشاطات العلمية والفكرية والأدبية داخل الهند وخارجها، ولم تتوقف نشاطاته حتى اللحظة الأخيرة من حياته، ومع أنه كان يعاني من ضعف الصحة وخاصة في سنواته الأخيرة، إلا إنه كان يبذل نشاط شاب في العشرين، مما يدل عزيمة لا تتقهقر أمام المرض، وإرادة لا تلين من أجل خدمة الإسلام والمسلمين.

كان منهجه الدعوى يميل إلى التركيز على التربية، وتنشئة أجيال مشبعة بروح الإسلام وأخلاقه وقيمه، وكان يرى أن بناء المجتمع المسلم القوى المترابط، يسبق كل بناء، ومن ثم كان اهتمامه بالكتابة للأطفال وتقديم سيرة الرسولﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم، في أسلوب مبسط وسلس ليبث من خلالها قيم الإسلام ومبادئه العظيمة.

ويعد كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» من أشهر كتبه وأهمها، حيث طبع بالعربية ما يقرب من عشرين طبعة، ويتناول فيه واقع المسلمين ومستقبلهم وعلاقتهم بالآخرين، من خلال منهج عقلي مقنع تدعمه ثقافة عريضة واطلاع واسع.

ومن أهم كتبه التي نشرت بالعربية:

مذكرات سائح في الشرق العربي – الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرية الغربية- المسلمون وقضية فلسطين – نحو التربية الإسلامية الحرة في البلاد الإسلامية- الطريق إلى المدينة – العرب والإسلام – المسلمون في الهند – اسمعي يا مصر – روائع إقبال...

رحم الله أبا الحسن الندوى، فقد رحل في زمن كان المسلمون في أشد الحاجة إليه!

obeikandl.com

تيسير علوني

شاهد مزعج على المجزرة!

يرتبط «تيسير علوني» في ذهن المشاهد العربي للتلفزيون بالظروف الصعبة والأوقات الحرجة التي تمر بها الأمة الإسلامية، مذ صارت «قصعة الأمم يتناوب الجلوس عليها أشرار العالم والطامعون في خيرها وعزها...

بدأ هذا الارتباط بقوة مع المشاهد العربي، عندما قامت الولايات المتحدة «صانعة الحرية والديمقراطية» أو معلمة الحرية والديمقراطية للمتخلفين من أمثالنا نحن المسلمين(!!)، بتدمير أفغانستان وقتل عشرين ألفًا من أهلها الأبرياء البسطاء بحجة محاربة الإرهاب وملاحقة أسامة بن لادن، وكان تيسير علوني» هو الصحفي التلفزيوني الوحيد أو شبه الوحيد الذي ينطق العربية، ويخاطب المشاهد العربي في كل مكان، وينقل إليه صورة مباشرة عما يجري في القطر الإسلامي التعيس، ورأيناه والقصف الأمريكي يقترب من رأسه، ولكنه نجا بفضل الله. وظلت صورة «تيسير علوني» بلحيته الرمادية، وجلبابه وسترته الأفغانية علامة متميزة حتى انتهت العمليات العسكرية الضخمة التي لم تستطع الوصول إلى رأس ابن لادن، وإن وصلت إلى رأس الأفغان التعساء، ودمرت بيوتهم –المتهاوية أصلا– ومساجدهم ومستشفياتهم، ولم تبق لهم أو تذر، وكل ما حققته حملة الشيطان الأكبر أنها خلعت «الشادور» من على وجه المرأة الأفغانية، وسمته تحريرًا ونقلاً إلى القرن الحادي والعشرين، مع أن هذه المرأة ما

زالت تقف في طوابير المعونات الشحيحة، وتنتظر وجبة يومية من صناع الحرية والديمقراطية، في ظل السيد كرازاي وزملائه!

صورة «تيسير علوني» على شاشة «الجزيرة» وهو يتدفق بالحديث العربي الفصيح دون لجلجة أو أخطاء، مع شجاعة ملحوظة وملموسة في اقتحام الأخطار، ليؤدي خدمة إعلامية متميزة للمشاهد العربي، هذه الصورة تكشف هشاشة الإعلام الآخر الذي يؤثر الجلوس على المكاتب الصامتة، ويستمتع بالسلامة والأمان، وينتظر ما تتفضل به الوكالات والشاشات الأخرى لينقل عنها بعد حين، ويا دار ما دخلك شر! الفارق بين الإعلام المتحرك والإعلام الساكن، هو القدرة على التأثير في النفوس واختراق الوعي وزيادة المعرفة، وهذه كلها يحققها الإعلام المتحرك الذي يمثله «تيسير علوني» مهما أبدى البعض من تحفظات أو اعتراضات، فالذي يعرض نفسه للأخطار بل الموت! يجب علينا أن نحترمه ونقدره لأنه يسعى إلى النهوض برسالة جليلة هي: المعرفة. والمعرفة تستحق المخاطرة لدرجة الشهادة.

لقد طاردت القوات الأميركية طاقم قناة «الجزيرة» في كابول، وكان الطاقم الذي يقوده «تيسير علوني» يعلم أنه مستهدف، لأنه كان الطاقم العربي الوحيد الذي يغطي العدوان الأميركي، وتنقل عنه وكالات الأنباء والتلفزة الأخرى، فضلاً عن تحقيقه لانفرادات إخبارية لم يحققها الآخرون... ومع ذلك واصل عمله وأداء مهمته بأقصى طاقته.. وقد روى بعد الحرب، مع طاقمه –بعض المصاعب التي واجهها على أرض الأفغان، وكانت في كل الأحوال عاملاً في زيادة تصميمه وإصراره على أداء رسالته.

اختفى تيسير من الجزيرة بعد العدوان الأميركي على أفغانستان، ثم ظهر فجأة في بغداد عقب العدوان الأميركي على العراق مباشرة، وكانت الجزيرة قد حظيت بالسبق في التغطية الإعلامية من داخل العراق الذي رفض أن تنال الـ

سي إن إن هذا الشرف، وطرد مراسليها، ولم تدخل العراق إلا بعد سقوط بغداد الفاجع!

ظهر «تيسير» على رأس فريق يغطي الأراضي العراقية من أم القصر جنوبًا حتى الموصل شمالاً، حيث كان للجزيرة مراسل في كل مدينة تقاتل العدوان وتقاومه، وكان المراسلون يقدمون الحقائق من أرض الواقع، وهو ما سبب الإزعاج والقلق والغضب لدى القيادة العدوانية الاستعمارية، وجعلها تعيد استهداف «علواني» ومن معه، وتعرض مكتب الجزيرة في بغداد بعد سقوطها للقصف والحصار، ومعه مكاتب بعض القنوات والوكالات الأخرى، وكان الحصاد استشهاد أحد أطقم الجزيرة المراسل «طارق أيوب» وإصابة آخرين، فضلاً عمن قتلوا من المراسلين من جنسيات أخرى!

رأيت تيسير على الشاشة، وهو يشارك في حمل زميله «طارق أيوب» من خلال بطانية سعيًا لإنقاذه، ولكن قدر الله لا مفر منه، فقد كانت خاتمة المراسل الشاب الذي ترك زوجة شابة وطفلة صغيرة يتجاوز عمرها العام بقليل! وكان أقصى رد فعل لدى المعتدين الغزاة هو الإعراب عن الحزن لمقتل طارق أيوب من جانب سعادة السفير الأميركي في عمان!.

ولد تيسير في سورية وتعلم بمدارسها، لا أعرف عن حياته الخاصة كثيرًا، ولكنه هجر سورية أو هرب منها بسبب ميوله الإسلامية، فخرج منها في أوائل الثمانينات مع الآلاف الذين خرجوا، وطوحت به الحياة هنا وهناك حتى استقر في إسبانيا، فعمل بالترجمة ونال دبلومًا أو شهادة في الماجستير، ثم انضم إلى قناة «الجزيرة» ليكون مراسلاً متميزًا، ويظهر تميزه في بلاد الأفغان حين سحقها الأميركان!

المفارقة أن بعض «المهابيط»[1] الذي حلوا بساحة الكتابة في بدلانا، لا

(١) هذا المصطلح للأستاذ «وديع فلسطين» يصف به الذين هبطوا على عالم الفكر=

يعجبهم العجب، ولا الصيام في رجب، وخاصة إذا كان الشخص منتميا إلى الإسلام، أو يعتز بهويته الإسلامية، فيرون فيه القطط «الفطسانة»، ولا يجدون غضاضة في رميه بكل النقائص والمذمات، ولا يرون فيه أدنى خردلة من الإيجابيات أو الحسنات!

المهابيط لديهم ولع غريب، بتشويه كل جهد جاد، وكل عمل شجاع طالما ارتبط صاحبه بالإسلام، أو اقترب منه، ومن ثم؛ لم يشفع لتيسير علوني، قدرته الإعلامية، وموهبته التعبيرية، وشجاعته الأدبية، فعده «المهابيط» نذير شؤم على البلاد والعباد، وكأنه هو الذي يقود الجيوش الاستعمارية التي تحتل أوطان المسلمين، وتنصب «الكرازايات»، وتستغل الثروات وفي مقدمتها «النفط»!

إن الجيوش الاستعمارية، أميركية أو غيرها، تتحرك بمنطق القوة، ولا تعرف غير لغة القوة وتيسير علوني لا يملك شيئا من هذه القوة، فإذا كانت الجيوش والحكومات المستهدفة تنهار أمامه بالهزيمة أو الانسحاب أو الخيانة، فماذا يملك تيسير لهذه الحكومات أو تلك الجيوش؟

أليس تفسير الهزيمة والانتصار بالتشاؤم والتفاؤل –من شخص مذيع، يعد نوعًا من التخلف الفكري والدروشة الثقافية التي لا تليق بأهل العلم والتقدم؟

لقد كان الإعلام الجاد هدفًا استراتيجيًا للمستعمرين الغزاة، وهو ما فعله الأميركيون في عدوانهم الإجرامي على الشعب العراقي.

لقد قتلوا في حربهم العدوانية اثنى عشر صحفيا بعضهم من «رويترز» ووكالة الأنباء الإسبانية.. وقد أقالوا المراسل الشهير «بيتر آرنييه» من شبكة إن بي سي، عقابًا له على التعبير عن رأيه في العدوان الأميركي على العراق، ولم يبالوا بأحاديثهم المتكررة ودعاواهم الضخمة عن حرية التعبير، وديمقراطية الرأي، مما اضطر صحيفة «الديلي ميرور» لاستضافة الرجل والترحيب به على

= والثقافة والصحافة دون مؤهلات أو موهبة، لإرضاء أصحاب السلطان!.

صفحاتها! ثم إنهم لم يتورعوا عن قصف فندق فلسطين في بغداد وكان يضم طواقم الإعلاميين الذين يغطون الحرب العدوانية، وأطلقوا عليه نيران الدبابات الكثيفة بحجة أن قناصة يختبئون بداخله ويطلقون منه النار على القوات الأميركية، وهو ما أنكره الصحفيون، لأن الفندق كان خاليًا بالفعل من القناصة.

المفارقة أن حكومة العراق الذاهبة لم تترك طاقم «الجزيرة» يؤدي رسالته كما ينبغي، فقد أنذرت قبل ذهابها بأيام تيسير علوني ومن معه بمغادرة بغداد فورًا لأن بعض تقاريره أو تعليقاته لم تعجبها، ثم تراجعت عن إنذارها بعد مفاوضات استمرت لمدة يوم كامل تقريبا، ومع ذلك فإن «الصحاف»- وزير الإعلام العراقي الذاهب- لم يتوقف عن انتقاد الجزيرة وتغطياتها للأحداث، بل اتهمها بتبني وجهة النظر الأميركية!

وبعد ذلك يتقدم بعض «المهابيط» عندنا، بعرائض اتهام لتيسير علوني ومن على شاكلته، لأن اتجاهه الفكري أو الإسلامي لا يعجبهم، أو لأن لغته الفصحى المتدفقة في سهولة ويسر لا تسرهم! وصار عنصر التقويم الأول عند هؤلاء «المهابيط» هو درجة الانتماء إليهم قربًا أو بعدًا! يا له من تعصب غريب!

يقيني أن «تيسير علوني» يمثل نمطا ناجحًا في المجال الإعلامي، ولهذا ترصدته الآلة الأميركية الجهنمية، ولم تظفر به، وإن كانت قد ظفرت بزميله طارق، ولم تستطع في كل الأحوال أن تقضي على شاهد مزعج، شاهد مجازرها ضد الشعب العراقي البائس ونقلها إلى الناس في كل مكان![1].

(١) قبضت عليه إسبانيا بعد سنوات وحاكمته وسجنته، واستطاعت أن تفعل ما لم تستطعه أميركا!

جابر رزق

الفلاح المجاهد

من الصعب أن نكتب عمّن نحب؛ فإن الكلمات تفر من القلم، كما تفر الدموع من العين.. وبخاصة إذا كان من نحب ممن ملأوا الدنيا حبا وحركة وحيوية ونشاطا.. وقد ترددت كثيرا في الكتابة عن أخي «جابر رزق» المسلم الداعية، والكاتب الصحفي، والنقابي النشيط لأني عرفته عن قرب وعشت معه فترة طويلة امتدت أكثر من خمسة عشر عاما، عقب عودته إلى عمله الصحفي بإحدى المجلات الأسبوعية، شهدت هذه الفترة الكثير من المد، والكثير من الجزر، على المستوى العام الذي كان مجال حركته ونشاطه ودعوته، وفي كل أولئك كان مثالا للمسلم الصابر المصابر المرابط القابض على الجمر.

أذكر أنه تفضل وسعى إلى التعرف إلي، وأظنني ممن لا يسعى أحد إلى معرفتهم، ولكن الرجل بحسه الإسلامي، وخلقه النقي، ووعيه الصافي، كان حسن الظن بي، وراح يذكرني ببعض الموضوعات التي كتبتها- والتي أثارت اهتمامه، واقترح يومها أن أنشر كتابا بعنوان «مسلمون.. لا نخجل» لأن هذا العنوان كان يمثل من وجهة نظره دلالة فريدة، مع شعار ساد يومها «المسلمون قادمون» وكان هذا الشعار وذلك العنوان صيحة في وجه القوى المتآمرة على الإسلام، التي جعلت شعارات أخرى مستوردة تحل محله، وتدور على ألسنة الإعلاميين والصحفيين طوال الليل والنهار تبشر بقيم جديدة، وأفكار جديدة،

وعقائد جديدة، لم يكن من بينها الإسلام أبدًا!!

تزاملت مع جابر رزق في الكتابة لأكثر من دورية إسلامية وصحفية، وكانت متعة أن نناقش ما كتبناه بالصدق والصراحة، لنتلافى الأخطاء، ونستزيد مما نراه من إيجابيات.. وكان يسعى بكل قوة أن يشدني للعمل الصحفي بالقاهرة، ولكن إرادة الله شاءت غير ذلك، ثم كان كرهي للزحام، وبعض ملامح العمل الصحفي سببًا لأبقى في قريتي لا أبرحها حتى اليوم، وكانت هذه الرغبة منه هي الموضوع الوحيد الذي لم أوافقه فيه.. ولم يقتنع بوجهة نظري.

ويذكر لجابر أنه أثار قضيتين شغلتا الدنيا في حينه أولاهما الوثيقة الأميركية التي نشرها في «الدعوة» وعلق عيها، وكانت تتناول كيفية مواجهة الصحوة الإسلامية أو المد الإسلامي، وكان لهذا النشر وقعه الداوي الذي شغل الجميع أيامها، وكان له تأثيره المضاعف فيما بعد.

وثاني هذه القضايا إثارته لموقف «طه حسين» من الشعر الجاهلي، في تحقيقات صحفية نشرها بالمجلة الأسبوعية التي كان يعمل بها، وقد هزت هذه التحقيقات مشاعر الكثيرين سلبا وإيجابا، فتدخلت السلطة في أعلى مستوياتها وأمرت بوقف النشر.. ولكنه استمر في تجميع مادته، وطبعها في كتاب لقى رواجا كبيرا.

ولعل أبرز ما ينسب إلى «جابر رزق» حديثه عن التعذيب الذي لقيه المعتقلون وبخاصة «الإخوان المسلمون» في سجون عبد الناصر، لقد نشر كثيرًا من القصص والأسماء التي عرفت التعذيب ملحمة من أسوأ الملاحم في تاريخنا الحديث. ولم يحاول في كتابه أن يبالغ أو يجرح، كان موضوعيا، دليله الشهادات والوثائق، وكانت أحكام القضاء بعدئذ خير شاهد على صدق ما كتب، حيث أدان القضاء عمليات التعذيب بتعويضات. ومن قبل أدان زبانية التعذيب في

أحكام تاريخية سجلت بحروف من نور في سجل القضاء المصري.

وأحسب أن «الأدب» سيذكر لجابر رزق، مبادرته الطيبة في جمع أشعار الشهيد «محمد عواد» التي كان ينشرها في «الاعتصام» طوال فترة الستينيات وقبل استشهاده بأيدي زبانية التعذيب ودفنه في الصحراء دون أن يعلم أحد من أهله وذويه.. كانت مجموعة أشعار عواد تفيض بالحيوية والعذوبة، وهي تعالج قضايا المسلم المعاصر وأشواقه إلى الحرية والاستقلال والمشاركة في صنع الحضارة مع الآخرين.. وكم أتمنى أن يتصدى بعض الباحثين لإتمام رسالة جابر في مجال دراسة أشعار عواد والبحث عن بقاياها.

لقد كتب جابر رزق عن الشهيد حسن البنا، والهضيبي، والتلمساني، وعن قضايا الدعوة، والصحوة، ولعله كان من أوائل الذين عرفونا بالحركة الإسلامية في تركيا من خلال حزب السلامة التركي الذي كان يقوده «نجم الدين أربكان».. ويشاء السميع العليم، أن يكون آخر ما كتبه مجموعة تحقيقات عن أحوال الإسلام والمسلمين في تركيا، وبخاصة استانبول..».

عاد من تركيا، وهو يستشعر آلام نزلة برد، وظل يتردد على مكتبه في «لواء الإسلام» التي كان يرأس تحريرها، وهو يظن أن المسألة مجرد نزلة وستنتهي، وكان تغيير الجو بين القاهرة واستانبول فيما يرى سببا لها، ولكن النزلة استمرت طويلا، وتطورت، وشعر أنه لابد من مراجعة طبيب، ثم أكثر من طبيب، وكان آخر حديث بيني وبينه هاتفيا حين لزم البيت أنه سيعرض على متخصص، بعدها علمت أنه تقرر سفره إلى انجلترا، وبعدها انتقل إلى أمريكا، حتى عاد جثمانا تشيعه الألوف، تترحم عليه وتدعو له، وتبكي فيه صفات المودة والإخلاص والمروءة والشهامة، وتحتسبه عند الله جنديا أبيا من جنود الدعوة، لم يهن ولم يستسلم ولم يضعف، بل ظل صابرا محتسبا حتى عندما عرف طبيعة مرضه، كان متفائلا لأنه يثق في الله، وكان يطلب من محدثيه وهو يهاتفهم

من أميركا أن يكثروا من الدعاء لعل الله يستجيب.. واستجاب الله ليكون شهيدا، فهو ممن ينطبق عليهم حديث الشهادة، حيث عانى في مرضه الكثير.

ولعل أبرز ملامح حركته في مجال الدعوة داخل الصحافة أنه كان على صلة بالكثيرين من مختلف التيارات، وكانوا يحترمونه ويقدرونه، بل إن بعضهم كان يتعامل معه كمستودع لأسراره، ومعين في ملماته، وكان بخلقه الطيب يحاور الجميع، ويناقشهم من أجل قضايا الإسلام والأمة، فكان يجد التأييد في كثير مما يدعو له.. لقد استغرب البعض أن تكون علاقاته بهذه القوة مع التيارات الأخرى، ولكنه كان يرى أننا الأولى بديننا وعقيدتنا، وأن المواجهة وتقديم النموذج طريقنا إلى تثبيت أركان الدعوة وكسب الأنصار وتحييد الأعداء.. وكان يقول لي لعل الله يأتي بالخير على يد واحد من هؤلاء.. يقصد أولئك الذين يسيرون في طرق بعيدة عن الإسلام.

وأذكر له أنه أقنعني لأشرف على باب للأدب عندما طورت مجلة «لواء الإسلام» واقتنعت، فخصص للباب صفحتين، وطالبت بأربع، فقال لي إن لدينا مادة غزيرة، وتكفي الصفحتان وبعد شهر أو أكثر جاءت رسالة من أحد القراء يقول فيها: إن لم تزد الصفحات إلى أربع فقل لرئيس التحرير «سلام عليكم» أي اترك مهمة الإشراف على الباب.. قرأنا الرسالة وضحك يرحمه الله -كثيرا- وقال فلتزد المساحة أربع صفحات فالباب مقروء على كل حال.

هكذا كان جابر رزق بسيطا في تعامله، وكان السهل الممتنع، الذي يعيش معك ولك والناس جميعا بالرغم مما يعانيه أو يكابده على المستوى الشخصي.. لقد كان صبورا وراضيا بقدر الله.. وكانت فرحته كبيرة عندما يمن الله عليه بخير أو فيض.. ولا أنسى فرحته يوم استقبل «البراء» أول أحفاده. كان سعيدا ومشرقا وممتنا للخالق جل وعلا..

رحم الله جابر رزق، وعوض الأمة الإسلامية داعية مثله، يدفع عنها، ويعمل من أجلها، ويتحمل في سبيلها كل المشقات والآلام.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حسن دوح

الدوحة الظليلة

في شهر أكتوبر ٢٠٠١، غادرنا إلى الآخرة عن عمر يناهز الثمانين عامًا رجل من طراز فريد، قدم عمره وما يملك من أجل الإسلام والوطن، جاهد بلسانه وسلاحه وقلمه حتى آخر لحظة في حياته، وترك من ورائه نموذجًا يحتذى، وتجربة تستحق أن تروى.

كان «حسن دوح» من الرجال الذين طبقوا القول على العمل، وكان من الرجال الذين يصدعون بالحق، لا يمنعه انتماء إلى هذا الطرف أو ذاك من الاعتراف بالحقيقة حتى لو كانت سلبية، وموقفه هذا نهديه إلى بعض الآكلين بالإسلام الذين يتصورون أو يصورون للناس أن الحركة الإسلامية لا تراجع نفسها أو تنقد الجوانب السلبية فيها، والرجل بعد ذلك وقبله كان من جيل يعرف قيمة الأخلاق الفاضلة في التعامل والسلوك، وما عرف عنه الناس إلا العفة في القول، والمروءة في السلوك، والصراحة في الحق.

مسيرة «حسن دوح» طويلة وممتلئة، منذ نشأته طفلاً ريفيا في قرية صعيدية اسمها «طفنيس» تتبع مركز إسنا –بمحافظة قنا. وهو من أسرة لها حضور في المجتمع الريفي، وكان والده عمدة القرية، وقد تعلم «حسن دوح» في كتاب القرية، وواصل دراسته في سوهاج، وتخرج في كلية الحقوق بالقاهرة، ولم تكن مسيرته التعليمية ميسرة، بل كانت صعبة، لأنه كان معتل الصحة، ولم يكن من

obeikandl.com

المتفوقين، ولكن حياته العملية كانت ثرة، ومفعمة بالحركة والنشاط، منذ التحاقه بإحدى الطرق الصوفية ثم جماعة الإخوان المسلمين، وجهاده في فلسطين ١٩٤٨ ضد الغزاة اليهود، وعام ١٩٥٠ وما بعدها ضد الإنجليز المستعمرين في القناة، ودخوله إلى المعتقلات والسجون منذ بداية الثورة حتى رحيل عبد الناصر، وزعامته لطلاب الجامعة، وتفوقه في الخطابة لدرجة أنه كان يستولي على قلوب سامعيه لساعات وكات الخطابة من وراء اعتقاله في بعض المرات، حيث اعتقل عام ١٩٥٤ إثر خطاب ألقاه في مسجد الروضة، كان من بين عباراته «الله غايتنا. أنا اعتقلت ولم تعتقل العاهرات!»، وقد خطب أمام «محمد نجيب» قائد ٢٣ يوليو وأول رئيس للجمهورية، ودعاه لأن يكون شهيدًا مع أبناء الوطن في جهادهم ضد المستعمرين الصهاينة والإنجليز، وفي عام ١٩٥٢ خطب في الشباب قائلاً: بعد سبعين عاماً انتقمنا لك يا عرابي!

عمل «حسن دوح» في المحاماة، ولكنه تركها بعد أن أخفق في التكيف معها لأسباب شتى، وقد توسط له «كمال الدين حسين»- وكان من أصدقائه قبل الثورة- ليعمل في وظيفة قانونية بالاتحاد الاشتراكي العربي!! وقد قبل الوظيفة مرغمًا، وبعدها استطاع صديقه «مجدي حسنين» من ضباط الثورة أن يجد له عملاً في مؤسسة «أخبار اليوم»، ولكنه في عهد السادات استطاع الحصول على فرصة للعمل في الكويت وكانت سببًا في نجاته من الاعتقال في أواخر هذا العهد، وعندما عاد واستقر في مصر، أتيحت له فرصة الكتابة في الصحف اليومية وغيرها حتى لقي ربه راضيا مرضيا.

ويعد «حسن دوح» من القلة الإسلامية التي سجلت سيرتها الذاتية تسجيلاً ناقدًا بعيداً عن الرغبة والرهبة إنه تسجيل العمر الناضج الذي يرى الأمور بمنهج الإسلام المستقيم، ومن ثم، فقد تناول في سيرته الذاتية علاقته بالإخوان، وأثنى على الإمام الشهيد، وأشار إلى بعض الزعماء والأحداث من

منظور موضوعي لا يمدح ولا يقدح إلا بقدر ما يمليه المنهج. يتحدث مثلا عن مصطفى مؤمن، وسعيد رمضان من زعماء الإخوان الشبان في مرحلة ما قبل الثورة، فيشير إلى أن مصطفى كان يمثل الخطيب السياسي، أما سعيد فيمثل الخطيب الروحاني –كان مصطفى يكثر من الاستشهاد بأقوال وأمثال وقصص أجنبية وكان حادا في حملاته على الحكومة ومندفعا لدرجة مخيفة، وقد أوقع اندفاعه هذا الإخوان في بعض المشكلات، وكانت الحكم والأمثال تتحكم في أسلوبه وتبتعد به أحيانا عن المعاني التي يقصدها، من ذلك ما قاله عن «إسماعيل صدقي» وكان من رؤساء الوزارات المكروهين من الشعب المصري: إن إسماعيل كان صادق الوعد، فظن الطلبة بالإخوان الظنون واتهموهم بمالأة صدقي، وخاصة أن صدقي كان قد مر بالمركز العام للإخوان وترك بطاقة مجاملة للأستاذ البنا. وكان السياسي الداهية يستهدف من وراء ذلك فتنة سياسية يظهر فيها الإخوان بمظهر المؤيدين للملك، ومع هذا –يقول حسن دوح– فإن أخطاء مصطفى لا تعدل شيئًا إلى جانب الكسب الكبير الذي حققه للإخوان في شباب الجامعة. وللحركة الوطنية عموما. أما بالنسبة لسعيد رمضان فقد كان يمثل المرشد الصغير في الجماعة.

ومن السلبيات التي أشار إليها «حسن دوح» في جماعة الإخوان، ما تحدث به عن الجهاز السري للإخوان بقيادة «عبد الرحمن السندي»، فيصف هذا الجهاز بأنه يمثل قمة الفداء والإخلاص للجماعة، ولكنه جنى على الجماعة وأفرادها، وعلى قيادتها، جناية لا تغتفر، فقد جنى على الجماعة بأن صبغ وجهها بالدم، فخيل للناس أن جماعة الإخوان أقرب ما تكون من جماعة حسن الصباح، زعيم الحشاشين، في حين أن حقيقة الجماعة كانت غير ذلك، وجنى على الأفراد بأن فرض أسلوبه عليهم وعلى مسلكهم ومستقبلهم، فأودى بحياة كثيرين ومستقبلهم، وجني على قادتها فذهب «حسن البنا» نتيجة تصرفات الجهاز

السري!

وقد شغل مصطلح «جماعة المسلمين» الذي كان شائعًا عن الإخوان فكر «حسن دوح» الذي كان يرى أن الإخوان جماعة من المسلمين، ولكنه، أي حسن دوح، كان يرى في الأخوان، في كل الأحوال، جماعة مجاهدة أيقظت المسلمين وبعثت الإسلام في صورته النقية، وشاركت في الحركة الوطنية بكل ما استطاعت، كما يرى أن عليها أن تجيب على أسئلة عديدة لم يمكنها عمر مرشدها الأول القصير، واشتداد المحن التي خاضتها من الإجابة عليها.

ولا ريب أن تجربة الإخوان في فلسطين ومدن القناة من أنبل التجارب دفاعاً عن الدين والوطن، وقد أفاض «حسن دوح» في ذكر المعارك التي خاضوها بجانب الجيش المصري في فلسطين وتحريرهم لبعض المستعمرات، وحصارهم للقدس الجديدة، ويروى العديد من المفارقات والطرائف والنكت في هذا السياق. ومنها ما جرى بعد قطع التموين عن اليهود في القدس الجديدة وصدور إشارة سرية عنهم بأنهم يطلبون الإنقاذ لأنهم يشربون بول الحمير، فقد قال مقاتل يهودي كان يرابط في إحدى الدشم:

«يا إخوان إننا نعلم أنكم تحبون الاستشهاد لتسعدوا في الآخرة، ونحن نحب أرض فلسطين لأننا نؤمن أنها أرض المعاد، فاخرجوا لنقتلكم فتدخلوا الجنة، ونعيش نحن في فلسطين وبذلك تتحقق السعادة لنا ولكم» وهذه الفكاهة تكشف مدى خوف اليهود ورعبهم من قوة الإخوان.

وقد أشاد «حسن دوح» بشجاعة الجيش المصري وقادته، وخاصة اللواء «أحمد فؤاد صادق»، الذي منح الإخوان أوسمة ويناشين، بعد معركة التبة ٨٦، وتدمير الدبابة «تشيرمان» التي كانت تمطر الجيش المصري بوابل من القذائف تحت رحمتها.

في المعتقلات عانى «حسن دوح» من التعذيب الوحشي، الذي طال

الإخوان وغيرهم، ويصفه بأشد الصفات الوحشية، ويتحدث بأسى عن مذبحة ليمان طرة التي جرت في أول يونية ١٩٥٧، وسقط فيها واحد وعشرون من الإخوان، وبلغ عدد الجرحى خمسة وثلاثين، منهم ثلاثة عشر في حالة خطرة، ورافق ذلك حفلات ضرب وشتم وسب، لا تليق بأمة متحضرة!

وقسوة الاعتقال وتكرره جعلت «حسن دوح» -المعتل الصحة- يعترف بأنه أرسل تأييدًا تكرر كثيرًا إلى رئيس الدولة حتى يتم الإفراج عنه، وكان التأييد يأتي بعد بعض المواقف التي تستحق الإشادة، ولكن الإفراج لم يأت إلا بعد عام أو أكثر، وكان لأسباب صحية، حيث يجوز إعادة الاعتقال مرة أخرى إذا شاءت الدولة.

وفي المرحلة الأخيرة من حياته كانت كتابات حسن دوح تصب في اتجاه بناء الفرد والأمة، فقد أصدر العديد من الكتب ونشر الكثير من المقالات، من أجل بناء الإنسان المسلم وتربيته على أخلاق الإسلام ومثله العليا، وكان شعاره «كن مسلما» بمعنى السلوك والفعل والتعامل والإخلاص لله، وكتب كتابًا جميلاً على هيئة سؤال وجواب، وجهه إلى الشباب بعنوان «حوار مع الشباب حول القرآن» وفيه طرح القضايا الإسلامية التي تهم الجيل الجديد بأسلوب مبسط يقوم على فهم القرآن بالقرآن.

كما ناقش القضية التي تشغل بال المسلمين وخصومهم وهي «تطبيق الشريعة الإسلامية» بأسلوب سهل وعلمي في الوقت نفسه، وخصص لذلك كتابه «أين الطريق: إلى الأمة المسلمة وإلى الدولة المسلمة؟» طرح فيه العديد من الأسئلة حول المسجد وتنظيم الحياة وبناء الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة المسلمة والخطوات التمهيدية والأخرى التحضيرية لتطبيق الشريعة الإسلامية، ثم نشر في ختامه تصورًا أعده مجمع البحوث الإسلامية عام ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م لدستور إسلامي، يطرح للنقاش ويتكون بعد الإضافة

والتعديل من تسعة أبواب، وثلاثة وتسعين مادة... ولعل في ملامح «حسن دوح» الفكرية ما يعطي نموذجًا للجهود التي تبذل لتقديم مشروعات إسلامية في مجالات مختلفة، وهو ما ينكره البعض للأسف، دون أن يكلف نفسه عناء قراءة ما ينشره الكتاب والمفكرون الإسلاميون، وهو كثير وغزيرا.

ترك «حسن دوح» ما يقرب من عشرين كتابًا منها: لا تنم فالعدو لا ينام، حوار مع الأجيال، حوار مع الصحابة، حوار مع الليالي، ماذا تعرف عن الإسلام، شهداء على الطريق، الإرهاب المفروض والإرهاب المرفوض، صفحات من جهاد الشباب المسلم... وبالإضافة إلى ذلك، فإن «حسن دوح» كان شاعرًا مطبوعًا أنطقته المحن بالشعر، ولا أدري هل جمع شعره في ديوان أم لا. رحمه الله....

حسين مجيب المصري

عميد الأدب الإسلامي المقارن!

ودعنا يوم السبت الثامن والعشرين من شوال ١٤٢٥هـ، الموافق الحادي عشر من ديسمبر ٢٠٠٤م، علم من أعلام الأدب الإسلامي ودراساته المقارنة، وهو الأستاذ الدكتور «حسين مجيب المصري» عن عمر يناهز الثمانية والثمانين عاما، قضاها في البحث والدرس والتعليم والإبداع.. وقد رحل الرجل – كالعادة- دون أن يذكره أحد في المجال الإعلامي والصحفي باستثناء «خبر صغير» نشرته إحدى الصحف مدفونًا وسط أخبار أخرى موسعة تتحدث عن أشباه أدباء وكتاب يهتمون بالدعاية أكثر من اهتمامهم بالتجويد والإخلاص.

عرفت الرجل قبل ثلاثين عامًا أو يزيد، ولعل الذي عرفني به صديقي الأديب الكبير الأستاذ «وديع فلسطين»، وفي شارع الملك الأفضل بالزمالك، التقيت بالرجل، وكان لما يزل فيه بعض حيوية، ولكنه شكا إلى ضعفًا في بصره، الذي فقده فيما بعد، مما اضطره إلى استئجار من يقرأ له ويكتب..

كان – رحمه الله- يتحرك في غرفته نشطًا، يطلعني على بعض الكتب، ويحدثني في بعض القضايا، ومع أني لم أمكث طويلا، فقد خرجت ببعض كتبه القيمة ودواوينه الشعرية، وانطباع بتواضع الرجل وإخلاصه للعلم والبحث والأدب؛ دون أن يهتم بعرض الدنيا ومتاعها الزائل، فقد كان يقدم إنتاجه العلمي والأدبي لبعض الناشرين ولا يتقاضى مقابلا، اللهم إلا بعض نسخ

الهدايا التي يدفعها إلى الصحفيين والكتاب، لعل بعضهم يتفضل بكتابة خبر في سطرين أو ثلاثة عن إصداره الجديد. كان يهمه أن ينشر الكتاب بدلا من البقاء حبيس أدراج مكتبه، في الوقت الذي تقوم المؤسسات الرسمية بنشر كتب سطحية إنشائية، مليئة بأخطاء النحو والصرف والتركيب، وقد تكون معادية لدين الأمة وأخلاق المجتمع، وتكافئ أصحابها بمكافآت سخية!!

لم يكن الرجل يتقن فن العلاقات العامة الذي صار يتقنه أشباه الأدباء والكتاب، فتناساه من بيدهم الشهرة والتلميع، وهو في حقيقة الأمر لم يكن باحثا عن هذا أو تلك. فقد كان يريد أن يصل إلى الناس بكتاباته وبحوثه وأشعاره، مثلما يفعل أي شخص من المنتسبين إلى المؤسسة الرسمية للثقافة أو الذين ترضى عنهم هذه المؤسسة، لذا لم يرشح لأية جائزة ثقافية في بلده لا تشجيعية ولا تقديرية، مع أنه بمنطق العلم والأدب يستحق أن ينال أعلى جائزة يمنحها الوطن، ومن المفارقات؛ فإن دولاً إسلامية عديدة منحته جوائزها الكبرى ودرجة الدكتوراه الفخرية كما فعلت جامعة مرمرة في تركيا، والحكومة الباكستانية، ودولة قازاخستان وغيرها..، إن الاحتفاء بالرجل خارج بلاده، وإهماله في وطنه أمر شديد المرارة بالنسبة لرجل أخلص للعلم والأدب، ولم يبحث عن مكاسب مادية أو منافع شخصية، بل كان ينفق من دخله المحدود على متطلبات العلم والبحث والنشر والترجمة.

وفي الوقت الذي نرى فيه أدباء وكتابا محدودي القيمة الأدبية والثقافية، على خريطة الأبحاث في الدراسات العليا بالكليات المختلفة، فإن «حسين مجيب المصري» لم يطرح موضوعًا لرسالة ماجستير أو دكتوراه، والأمر نفسه فيما يتعلق بالحياة الثقافية، فلم يتناوله أحد من الكتاب أو النقاد، باستثناء بعض المقابلات القليلة القصيرة والمقالات، وكتاب وحيد، أصدره«صلاح حسن رشيد» بعنوان: حسين مجيب المصري: تجربة فريدة في الشعر العربي الحديث،

أصدرته مكتبة الآداب بالقاهرة عام ٢٠٠٤م.

لقد تعرض لظلم كبير في عمله بالجامعة أيضًا، ويبدو أن هذا قدر الذين يعكفون على العلم والبحث، فيظلمهم أهل «الفهلوة» والباحثون عن الدنيا والوجاهة والمناصب. ولا ريب أن ذلك كله قد أصابه بالإحباط، وخلف في نفسه كثيرًا من الأسى نراه عبر مقطوعات شعرية تقطر ألمًا، ومنها:

أنا من خبت في سعيي ... أنا من حرت في أمري

غثاء ضاع في سيل ... وطير ضل عن وكر

هباء بين أرواح ... ودمع سال في البحر

كلا من رجع أوتار ... ولكن أين من يدري

وشعري نفح أزهار ... ولكن من يرى شعري؟

ولد «حسين مجيب المصري» في مدينة القاهرة عام ١٩١٦، وجده لأمه «محمد ثاقب باشا»، كان وزيرًا للري في عهد الخديو إسماعيل، وكان جده لأبيه «حسني باشا المصري» من كبار الأعيان في القطر المصري، التحق بالمدرسة الابتدائية ثم الثانوية وفيهما قرأ كتب الرافعي وجبران ودواوين شوقي وحافظ وزهير وغيرهم من الشعراء، وسطعت موهبته الشعرية في مدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة عام ١٩٣٢ فنشروا له قصيدة بعنوان «الوردة الذابلة»، وكانت مرثية لابنة عم له توفيت، وكان رحمه الله يعتز بهذه القصيدة اعتزازًا كبيرًا... ويذكر أن حلاقًا كان بجوار بيتهم أثر فيه تأثيرًا كبيرًا، حيث كان يحفظ كثيرًا من عيون الشعر العربي ويلقيه على مسامعه وهو فتى يافع، فحببه إلى الشعر وحبب الشعر إليه، مما أحدث نقلة كبيرة في حياته، فجعلته يعيش بالتنغيم والنظم والإيقاع، وهي ظاهرة واضحة في أشعاره التي نشرها، وضمتها دواوينه الستة وهي:

«شمعة وفراشة»، «وردة وبلبل»، «همسة ونسمة»، «موجة وصخرة»، «شوق وذكرى»، «حسن وعشق».

ولا ريب أن عناوين هذه الدواوين تشير إلى بعض خصائص شعره الذي تأثر فيه تأثرًا واضحًا بالشعرين الفارسي والتركي، وما فيهما من أشكال شعرية وصور ببيانية تدور في فلك الطبيعة والعاطفة، وموسيقى حية، تنبض بأعماق النفس الإنسانية.

لقد نظم الشعر بالفرنسية، وترجم الشعر عن الإنجليزية، وكانت مسيرته مع اللغات حافلة بالتفوق والجهد الكبير. لقد أجاد ثماني لغات إجادة تامة، وساعده على ذلك انتسابه إلى معهد اللغات الشرقية الذي درس فيه الأردية والإيطالية والألمانية والروسية، وكان يترجم منها إلى اللغة العربية ما يروق له من شعر ونثر. وقد ترجم عن الألمانية كتاب «تاريخ الأدب الفارسي» وعلق عليه.

وكان يرى أن دراسة هذه اللغات، وخاصة اللغات الشرقية التي تتكلمها الشعوب الإسلامية، أمر ضروري لقراءة التاريخ الإسلامي والتعرف على تراث الحضارة الإسلامية في آداب هذه الشعوب، فضلا عن عقد المقارنات بين آدابها، واستخلاص العناصر المشتركة بينها.

وقد استخلص من دراساته المقارنة لآداب الشعوب الإسلامية أن الأدب العربي ركيزة أساسية ورصيد يستمد منه شعراء وأدباء هذه الشعوب كثيرا من المعاني والقيم، وهناك تشابه واضح بين الأدب العربي وآداب هذه الشعوب من حيث التأثر بالإسلام وقيمه، والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي. فنجد مثلاً في الشعر التركي ما يسمى بالرمضانيات يصف فيها الشاعر مظاهر الاحتفال في هذا الشهر، وكذا الحال في الشعر الأوردي والفارسي.. وهو ما ينطبق على موقف هذه الآداب من قضية فلسطين والقدس.

إن اهتمام «حسين مجيب المصري» أستاذًا جامعيًا، وأديباً، وشاعرًا بآداب الشعوب الإسلامية، واطلاعه عليها في لغاتها الأصلية التي يجيدها، وكونه أول من اشتغل بالأدب الإسلامي المقارن جعله مرجعًا، يعود إليه الأساتذة والطلاب، وجعل منه عميدًا للأدب الإسلامي المقارن، فقد أخلص له، وبذل جهدًا معنويًا وماديًا في البحث والتنقيب والاطلاع، في الوقت الذي كان زملاؤه وغيرهم يفضلون الطريق السهل، وهو التوجه نحو الآداب الأوربية الأكثر رواجا، والأفضل عائدًا ماديًا، ولكن «حسين مجيب المصري» آثر أن يشق طريقه في ميدان صعب ومجهد ومكلف، يبتغي من ورائه خدمة دينه وأمته الإسلامية، وكان هذا الطريق هو «الأدب الإسلامي المقارن»، الذي صار علمًا عليه.

لقد أنتج الرجل عشرات الكتب التي زادت عن السبعين كتابا، منها:

«صلات بين العرب والفرس والترك»، «ورمضان في الشعر العربي والتركي والفارسي»، «وإقبال والقرآن»، «وإقبال بين المصلحين الإسلاميين»، «والمولد النبوي في الأدب التركي»، «والقدس بين شعراء الشعوب الإسلامية»، فضلاً عن الكتب التي حققها وراجعها، ومئات الرسائل الجامعية (ماجستير ودكتوراه) التي أشرف على أصحابها.

لقد ظل حتى آخر أيام حياته يعمل بجد ودأب، وكان آخر كتاب ينوي نشره هو «بدائع إقبال في الأوردي»، وآخر كتاب كان ينوي أو يعمل في تأليفه كان حول المقارنة بين المدائح النبوية في الآداب الثلاثة: العربية والتركية والفارسية، ولا أدري هل انتهى منه أم لا؟.

فوجئت ذات يوم في العام الماضي بأنه يرسل إلى عنواني البريدي رسالة رقيقة يطلب فيها كتابي «محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر العربي الحديث»، لأنه بصدد المقارنة بين المدائح النبوية في الآداب الثلاثة. لم أكن في مصر،

وأخبرتني الأسرة بمضمون الرسالة، فحمل لـه ولـدي النسـخة الوحيـدة لـدي وذهب بها إلى مسكنه في الزمالك، واستقبله الرجل استقبالا كريمًا، والأهم بعد ذلك، أنه أرسل إلي رسالة مليئة بالعاطفة الحـارة العميقـة، كنـت أود نشـرها، لكنها ليست تحت يدي الآن... وهـي في مجملـها تـدل علـى إخلاصـه للعلـم، والأدب، وتواضعه الجم، وزهده في الدنيا ومتاعها الفاني.

وصدق حين قال ذات يوم في مقابلة صحفية قبل نحو عامين: «لا أسـتطيع أن أتخلى عن القراءة والكتابة فهما بالنسبة لي كالماء والهواء».

رحم الله «حسين مجيب المصري» جزاء ما قدم للإسلام والأمة الإسلامية.

obeikandl.com

رجب الطيب أردوغان

صعود الإسلام في دولة الخلافة

صار «رجب الطيب أردوغان» محور التحليلات والتعليقات في أرجاء العالم كافة بوصفه الرجل الذي سيحكم تركيا من وراء الستار، بعد أن حرمته «العلمانية» التركيبة من ترشيح نفسه بحجة اتهامه من قبل بالفتنة الطائفية «٩٩٪ من سكان تركيا مسلمون». وهو زعيم حزب العدالة والتنمية الذي اكتسح الانتخابات الأخيرة عام(٢٠٠٢م)؛ وحقق فيها فوزًا ساحقًا على بقية الأحزاب التركية السبعة عشر، وجعل معظم الأحزاب التقليدية تخرج من البرلمان دون أن تحقق نسبة لها قيمة (حزب رئيس الوزراء «أجاويد» لم يتجاوز ١,٢٪ من الأصوات).

«رجب الطيب أوردغان»- أردوغان وفق الترجمة الشائعة تعني النسر الذكر -يمثل جيلاً جديدًا من الإسلاميين الذين استفادوا من تجارب الأحزاب الإسلامية السابقة، وعاشوا الواقع بأبعاده المتنوعة فاكتسبوا تجارب غنية ومثمرة في شتى المجالات، واستطاعوا أن يثبتوا وجودهم في المجتمع التركي المسلم الذي عانى كثيرًا من الآلام والمتاعب منذ أواخر عهد الدولة العثمانية مرورًا بمرحلة «أتاتورك» حتى الآن.

كانت تركيا عاصمة الخلافة الإسلامية لمدة تزيد عن أربعة قرون، وكانت قوية عسكريا، وأحدثت توازنًا في ميزان القوى العالمي، بعد أن انهار الجزء الغربي من العالم الإسلامي بسقوط الأندلس، وتوحش القوة الصليبية خاصة في البحار... لقد توغلت الدولة العثمانية في فتوحاتها إلى قلب أوربة، ولكنها –مع اهتمامها بتنمية ذراعها العسكري– أهملت تنمية المخ الثقافي والفكري، وكثرت المظالم من الولاة، مع السعي الحثيث والدءوب من أوربة لاختراقها وتقطيع أطرافها وأوصالها، وإثارة المشكلات أمامها، واحتلال قلب العالم العربي خاصة، وتبني الجماعات والجمعيات الساخطة، فتهيأ الجو لظهور «أتاتورك» بعد المشاركة في حرب عالمية، كلفتها كثيرًا – أقصد الحرب العالمية الأولى.

ظن الناس أن «أتاتورك» سينقذ الأتراك ويحقق المعجزة، وفرح به كثير من المسلمين وتبارى شعراء مصر في مدحه (شوقي – عبد المطلب – آخرون) ولكنهم تراجعوا بعد أن كشف عن نواياه التي أطاحت بالإسلام واللغة العربية، وأرغم الناس على تقليد أوربة ولبس القبعة، وجعل الأذان باللغة الطورانية الجديدة التي تعتمد في أغلبها على خليط من الفرنسية الألمانية والإنجليزية والعثمانية القديمة... ثم جعل الإعدام جائزة علماء الإسلام الذين قاوموا أفكاره، وكانت المشانق تنصب في ميادين القرى والمدن كالأراجيح، على حد تعبير بعض المؤرخين.. صارت تركيا علمانية في ظل «أتاتورك»، وأتاحت هذه العلمانية لكل القوى السياسية حرية الحركة والعمل إلا الإسلاميين، فمحظور عليهم بحكم الدستور الذي تحميه المؤسسة العسكرية التركية التي ينتسب إليها «أتاتورك»، أن يعملوا من أجل الإسلام وتطبيقاته، وتعرض كثيرون للإعدام أو الاعتقال أو السجن بسبب ميولهم الإسلامية، وكان منهم رؤساء وزارات ووزراء ومسئولون كبار، لم يكن آخرهم «رجب الطيب أردوغان» الذي حكم في التسعينات بلدية «استانبول»، كبرى المدن التركية وعاصمة دولة الخلافة

سابقًا، وتضم أجمل آثار العالم الإسلامي والمسيحي معًا.

«رجب الطيب أردوغان» تلميذ من أنجب تلاميذ «نجم الدين أربكان» رئيس وزراء تركيا الأسبق، وزعيم حزب السلامة فحزب الرفاه، ثم حزب الفضيلة، وقد اعتقل رجب الطيب وسجن وحرم من الممارسة السياسية بسبب ميوله الإسلامية، مع أنه لم يرتكب جريمة ضد وطنه أو مواطنيه. فقط قرأ أبياتًا من قصيدة في تجمع سياسي يقول فيها: «المساجد ثكناتنا، والمآذن حرابنا، والقباب خوذاتنا»، وكان أن قدم للمحاكمة، وسجن أربعة شهور عام ١٩٩٨!.

كانت تجربة السجن بالنسبة لرجب الطيب، عنصر تغيير في حركته السياسية، فقد ابتعد عن الأب الروحي «أربكان»، وأسّس عام ٢٠٠١ حزب «العدالة والتنمية»، وكف عن مهاجمة العسكر والنظام العلماني، وبدأ يتحرك حركة ذكية في الإلحاح على مشكلات الشعب التركي «المزمنة، مثل البطالة (تشمل مليوني تركي) والديون الداخلية (٢٠٢ مليار دولار)، والديون الخارجية (أكثر من خمسين مليارًا من الدولارات)، وترهل القطاع العام، وسوء الإدارة الحكومية، وفساد بعض القطاعات في الزراعة والصناعة والمصارف..

إن رجب الطيب ينحاز بطبيعته إلى الطبقات الفقيرة والمطحونة، وهو يفاخر بأصله المتواضع، فقد ولد لأسرة فقيرة عام ١٩٥٤، واضطر إلى مساعدة والده الفقير في العمل بائعًا للحلوى والسميط والماء كي يستطيع الدراسة والتعلم في مدرسة الأئمة والخطباء. وبعد تخرجه التحق بكلية الاقتصاد السياسي في استانبول، كان موهوبا في نظم الشعر، وكان يهوى كرة القدم، ولعب لإحدى فرق الهواة في دوري الكرة الشراب تحت ١٦ عاما، ويقال إنه تلقى عرضًا للاحتراف في أحد الأندية الكبرى بتركيا، ورفض والده هذا العرض مما دفعه إلى الاتجاه نحو التجارة...

بيد أن الحلقة الأهم في حياة «رجب الطيب»، التي مثلت نقلة كبيرة في

حياته السياسية، هي رئاسته لبلدية استانبول، كبرى المدن التركية، وفيها حقّق شهرة سياسية ودعوية كبيرة وعظيمة، فقد استطاع أن يحل كثيرًا من مشكلات المدينة اليومية، المتعلقة بحياة الناس وحركتهم وخاصة مشكلة المياه، كما حظر تأجير المباني المملوكة للبلدية لتجار الخمور، وأندية القمار، وأغرى من يمارسون مثل هذه الأنشطة ببدائل أخرى أكثر فائدة لهم وللناس.

ويذكر المجتمع التركي لرجب الطيب موقفًا نادرًا وفريدًا، حين زار نقابة العاهرات في استانبول وأجرى مفاوضات مع النقيبة ومساعداتها. ومعلوم أن هذه النقابة تدفع أو تدفع أعضاؤها أكبر جزء من الضرائب التي تدخل خزينة الدولة التركية، ولكن رجب الطيب كان يدرك حجم المأساة التي تعيشها العاهرات، ومعاناتهن من المافيا التي تستغلهن في التجارة الحرام، وفي حواره مع النقيبة والمساعدات، طرح عليهن بدائل إنسانية تضمن لهن الحياة الكريمة، بعد أن خاطبهن بلغة جديدة تختلف عن لغة المافيا ورجال التجارة الحرام. قال لهن: أنتم أخواتنا وبناتنا، ونحن لا نرضى لكنّ المهانة والاستغلال، ويهمنا مساعدتكن والحفاظ على كرامتكن.. كان المراسلون يقفون على أبواب النقابة ينتظرون نتيجة الزيارة المثيرة، وسألوا النقيبة... قالت: لأول مرة نشعر بإنسانيتنا- ومع أن التجارة الحرام لم تتوقف، إلا أن الكثيرات وجدن حلا مناسبًا عند «رجب الطيب» الذي وفر لهن حياة أكرم من حياة الرذيلة، وهي تجربة في الدعوة والإدارة جديرة بالتأمل لدى الحركات الإسلامية في العالم العربي. ومع النجاح الهائل الذي حققه حزب العدالة والتنمية في الانتخابات الأخيرة، فإن حل الحزب المتوقع بسبب قضية مرفوعة ضده تتهمه بمخالفة النظام العلماني يظل سيفًا مسلطاً على رقبة «رجب الطيب» وزعماء الحزب.. وإلغاء الحزب يعني عمليا أن العلمانية في تركيا، وفي بعض البلاد الإسلامية الأخرى موجهة ضد الإسلام، وليست فضاء حقيقيًا للتعبير عن رغبة الشعب

وإرادته، وهو ما أثبتته التجارب السابقة في تركيا وغيرها.

بيد أن المراقبين يتوقعون أن يتوج «رجب الطيب» رئيسًا للوزراء بعد شهرين أو ثلاثة خاصة حين يكتمل عدد نواب العدالة والتنمية خمسا وستين وثلاثمائة نائب، فتكون له أغلبية الثلثين التي يمكنها أن تغير مادة الدستور التي تحظر على رجب وأمثاله ممارسة السياسة (بسبب اتهامه بالتعصب الديني!)، وبالطبع فإن تصويت حزب الشعب الجمهوري الذي حصل على ١٩,٣٪ من الأصوات إلى جانب العدالة والتنمية سيجعل الطريق مفتوحًا أمام «رجب الطيب» ليمارس دوره الإصلاحي اقتصاديًا وسياسيًا.[١]

ويلاحظ أن تصريحات زعماء حزب العدالة والتنمية ومن بينها تصريحات «رجب الطيب» نفسه، كانت هادئة، وساعية إلى التفاهم والتصالح مع المؤسسة العسكرية والمؤسسة العلمانية في البلاد. وكلا المؤسستين تعيش حالة فزع من وصول الإسلاميين إلى السلطة، وتخشى كل منهما أن يقوموا بعد السيطرة على الحكومة بتغييرات متصاعدة لتحويل المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية المدنية إلى مبادئ الإسلام والابتعاد عن العلمانية، ولكن «رجب» طمأن الجميع بالتزام العدالة والتنمية بالنظام العلماني، وإلى أن أي مشكلة تتعلق بحقوق الإنسان والحرية الدينية يمكن حلها من خلال الديمقراطية مثل استخدام اللغة الكردية والسماح بالحجاب في الجامعات والمؤسسات الحكومية. ولكن المشكلة تكمن في أن المؤسستين، فضلاً عن العالم الغربي، لا تستريحان إلى وجود حكومة لها ميول إسلامية في أنقرة، مع أن العديد من زعماء الحزب جاءوا من أحزاب علمانية أخرى، وهو ما يعني أن استمرار هذه الحكومة يظل أمرًا محفوفًا

(١) صار «رجب الطيب» رئيسًا للوزراء بالفعل، بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم عام ٢٠٠٢م، وما زال في منصبه حتى كتابة هذا الهامش أكتوبر ٢٠٠٨م.

بالشكوك بسبب الخوف من انقلاب عسكري، أو حكم محكمة بحل الحزب، ويعيد البلاد مرة أخرى إلى دائرة من القلق والاضطراب.. فهل ينجح «رجب الطيب» في تقديم نموذج للحكومة الإسلامية التي تحقق إنجازات اقتصادية وسياسية، ويتفادى في الوقت نفسه خطر إلغاء الحزب ومن ثم الحكومة؟ الأيام ستكشف ذلك[1].

(١) في ختام دورة الرئاسة الأولى حقق رجب الطيب وحزب العدالة والتنمية إنجازات كبيرة تحدثت عنها في أكثر من مقال مطوّل نشرته بمجلة «الكتب وجهات نظر» عامي ٢٠٠٧، ٢٠٠٨.

obeikandl.com

عبد العزيز الرنتيسي.. بعد ياسين

شهيد إثر شهيد

(ادفنوا شهداءكم وانتفضوا!)

بعد شهر تقريبا (أربعة وثلاثين يومًا)، من اغتيال الشيخ أحمد ياسين مؤسس «حماس» قام الغزاة النازيون اليهود في فلسطين المحتلة باغتيال الدكتور «عبد العزيز الرنتيسي» رئيس منظمة المقاومة الإسلامية الفلسطينية «حماس» في قطاع غزة، بوساطة طائرة أباتشي ضربت سيارة الشهيد بصاروخ وهو في طريقه إلى منزله قبيل الساعة التاسعة (بتوقيت مكة المكرمة) ليلة السبت، الأحد الموافق ٢٧ من صفر ١٤٢٥هـ = ١٧ من إبريل (نيسان) ٢٠٠٤م. كان مع الشهيد في سيارته أحد أبنائه وشخص آخر، فلقيا مصرعهما أيضا، ونالا الشهادة مع قائدهما. رحمهم الله جميعًا.

لم تكن هذه هي المحاولة الأولى لاصطياد الرنتيسي، فقد سبقت هذه المحاولة، الجريمة، محاولات أخرى، نجا منها الرنتيسي، بعد إصابته في إحداها إصابة بالغة، شفي منها بعد علاج طويل نسبيا.

كانت العصابات النازية اليهودية الغازية قد أعلنت على لسان رؤسائها ومنفذيها أنها تستهدف قادة الشعب الفلسطيني عمومًا، والمقاومة الإسلامية خصوصًا، وعدت ذلك استراتيجية ثابتة لتثبيت احتلالها لفلسطين وتهويدها، وتصفية القضية الفلسطينية نهائيًا، وإذلال الفلسطينيين الذين ما زالوا على

أرض فلسطين، وفتح الطريق أمام الهيمنة الكاملة للكيان النازي اليهودي على بقية شعوب المنطقة العربية.

وكان اغتيال الشيخ «أحمد ياسين» ذروة هذه الاستراتيجية، حيث كان الشيخ يمثل رمزًا معنويًا للشعب الفلسطيني كله في الإصرار على المقاومة حتى النصر أو الشهادة، وحين تولى «الرنتيسي» قيادة المقاومة الإسلامية من بعده، فإن العدو النازي اليهود واصل استراتيجيته التي يعلن عنها دائما بلا خفاء ولا سرية: واغتال الرجل بعد حوالي شهر من توليه.

كان الرنتيسي قد أعلن عقب توليه القيادة أنه سيسير على درب سلفه الشهيد، وأنه يرحب بالشهادة، وأنه لن يفرط في حقوق الشعب الفلسطيني، حتى لو وصفه الأعداء بالتشدد، ووعد بالثأر للشهيد الراحل، وواصل التعبير عن آرائه وتصوراته بالوسائل المختلفة عبر القنوات التلفزيونية، الأرضية والقضائية، وعلى صفحات الصحف داخل فلسطين وخارجها، وكان من أهم ما يشغله قضيتان، الأولى: وحدة الشعب الفلسطيني تحت كل الظروف والأجواء، والأخرى استمرار المقاومة للغزاة النازيين اليهود مهما كان ثمن هذه المقاومة غاليًا، وكان يكرر دائما «نحن مشروعات شهادة»!

لقد تم اغتيال «الرنتيسي» عقب عودة السفاح اليهودي «آرئيل شارون» من زيارته للولايات المتحدة، وحصوله على دعم غير مشروط في التنكيل بالشعب الفلسطيني من جانب الرئيس الأميركي «بوش»، وتحدى القرارات الدولية بشأن فلسطين وحقوق الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم، وقد أردفت الولايات المتحدة هذا الدعم وذلك التحدي بمباركة اغتيال «الرنتيسي» وتأييد الغزاة النازيين اليهود في مسلكهم الإجرامي بدعوى أنه «دفاع عن النفس»!. لقد انفردت الولايات المتحدة بموقف شاذ بموافقتها على اغتيال «الرنتيسي» وتأييد القتلة اليهود(!!) في الوقت الذي أدان فيه العالم أجمع العملية الإجرامية

اليهودية.

لقد عدت الولايات المتحدة منظمة «حماس» إرهابية، والرنتيسي إرهابيًا يجب قتله وتصفيته، وهو ما يقدم دليلاً واضحًا للأمة العربية والإسلامية على أن الولايات المتحدة هي العدو الأكبر الذي ينبغي عدم الثقة به، وعدم تصديقه، وعدم توسيطه في حل قضايانا ومشكلاتنا، وموقفه من القضية الفلسطينية إلى جانب احتلاله الهمجي لعاصمة الرشيد وتنكيله بالشعب العراقي وقتل أطفاله ونسائه وعدهم «إرهابيين» يستحقون القصف بالفانتوم والآباتشي ومدافع الدبابات ورصاص القناصة!؛ يدفعنا إلى عدم تصديقه أبدًا.

إن اغتيال الرنتيسي –مع مأساويته وبشاعته وخسته– يؤكد أن القتلة اليهود وسادتهم في واشنطن، لا يؤمنون بالسلام، ولا يقبلون به، ولا يريدونه، وكل كلامهم وأحاديثهم عن السلام؛ محض هراء وكذب وخداع، للضحك على السذج والذين لا يريدون البذل أو التضحيات!

منذ أكثر من مائة عام، حيث تم توقيع الاتفاق الودي (١٩٠٤) بين فرنسا وإنجلترا على اقتسام العالم العربي، ونحن، أو البعض منا، ما زال يثق في فرنسا وإنجلترا بالإضافة إلى الولايات المتحدة، مع أن هؤلاء لم يصدقوا في وعد، ولم يقفوا بجانب حق، ولم ينفذوا قرارًا واحدًا، اتخذته عصبة الأمم، أو هيئة الأمم المتحدة لصالح العرب والمسلمين.

لقد آن الأوان، ليتخذ الفلسطينيون أولاً، والعرب ثانيًا، والمسلمون ثالثًا، قرارهم بعدم الثقة في حكومات العالم الصليبي الاستعمارية مهما بذلت من كلمات ودية أو عبارات إنسانية، وأن يكون التعامل معها من منطلق المصالح، والثقة في الله ثم في النفس، والاعتماد على سواعدنا في استخلاص حقوقنا.

إن العدو النازي اليهودي، ومعه العدو الصليبي الأميركي، يتحرك وفقًا لمقدرتنا وأوضاعنا على الأرض، وهو يتمادى في غيه وإجرامه، حين يرى

الأغلبية تلوذ بالهروب والصمت والموافقة على كون الأقلية المقاومة إرهابية ومتطرفة! ولا أظن الشعب الفلسطيني يغفل ذلك، وهو ما يجب أن يغير طبيعة العلاقة بين السلطة الفلسطينية وفصائل المقاومة، لاتخاذ استراتجية جديدة تقوم على «حرب تحرير» طويلة المدى، تستدعي عناصر القوة المتاحة ماديا ومعنويا، مع الكف عن الجرى وراء السراب الذي تصنعه «الميديا» الاستعمارية بوحي من الأجهزة الإرهابية لليهود والصليبيين!

إن شهادة «عبد العزيز الرنتيسي» لن تكون نهاية الإجرام اليهودي، ولكنها حلقة في سلسلة ممتدة، نهايتها عند تحرير الأرض المقدسة، ثم إنها تقول لنا: إن علينا أن نلملم جراحنا، وندفن شهداءنا، وننهض لمواصلة حرب التحرير بدعم من الله وأصحاب الضمير في العالم الإسلامي!.

obeikandl.com

الشيخ عبد الحميد كشك

كلمة حق في وجه الباطل

عندما وصفه أحدهم بأنه «نصف أمي» ثار كل من يعرفه ويعرف فضائله ويعرف دوره في مجال الدفاع عن العقيدة والوطن والحرية والماضي والمستقبل.. كانت الثورة غضبًا مزدوجًا على الواصف الذي باع قلمه للشيطان، وعلى وسائط التعبير المنحازة للشيطان، ولم تسمح إلا نادرًا، ببعض صور الاحتجاج والرفض... فلم يكن الشيخ عبد الحميد كشك مجرد إمام وخطيب لمسجد «عين الحياة» -الملك سابقا- بشارع مصر والسودان في دير الملاك وحدائق القبة، لقد كان رجلا أوتي معاني الرجولة الإسلامية الكاملة، وهو يدعو إلى دين الله، وهو يدفع عنه، وهو يواجه الطغاة داخل سجونهم وقاعات التحقيق -ثم كان بعد ذلك وقبله أنموذجًا رائعًا لعالم الدين الذي لا تستعبده الدنيا بزخارفها ومباهجها وأضوائها.

«نصف الأمي هذا»، كان من المتفوقين الذين تسلموا جائزة التفوق من الرئيس الأسبق «جمال عبد الناصر» أواخر الخمسينيات، عندما تخرج في كلية أصول الدين، وكان ول دفعته، وكان يتوق إلى العمل مدرسًا أو معيدًا، ولكن إرادة الله وجهته للعمل الدعوى، في مساجد القاهرة، فعمل بأكثر من مسجد حتى استقر في مسجد الملك الذي سماه بعدئذ مسجد «عين الحياة» عام ١٩٦٤ بعد أن نال شهادة التخصص في التدريس (= دبلوما عاليًا)، ومن خلال هذا

المسجد الكبير الذي كان يؤمه عدد قليل من المصلين، كانت انطلاقة الشيخ كشك الدعوية، التي جذبت إليها آلاف المصلين والرواد من شتى أقطار مصر والعالم العربي، وخاصة يوم الجمعة، حيث فاض المسجد بالقادمين للصلاة فافترشوا الأرض في الشوارع المحيطة، واضطرت السيارات أو حركة المرور لتغيير مسارها وتحويله من شارع مصر والسودان إلى الشوارع الجانبية وقت خطبة الجمعة والعيدين، ومع أن الناس تبرعوا لبناء حديقة المسجد لتكون ملحقًا له متعدد الطبقات، إلا أن ذلك لم يحل مشكلة العدد الضخم من الرواد القادمين من كل حدب وصوب للصلاة وراء الشيخ كشك وسماع خطبة الجمعة ودروسه، ومن المفارقات أن الذي سلم الشيخ جائزة التفوق العلمي أدخله السجن عام ١٩٦٥، وعام ١٩٦٦، وتوالي دخوله وخروجه بعدئذ بسبب خطبه اللاذعة، وجرأته في قول الحق، وزهده في الدنيا، ومقاومته للاستبداد، ورفضه للتغريب!.

قصة الشيخ وكفاحه، نموذج رائع ينبغي تقديمه للأجيال الجديدة، التي سمعت عنه ولم تستمع إليه، فقد ولد عام ١٩٣٣ في مدينة شبراخيت بحيرة، لأسرة متواضعة، وكان واحدًا من ستة إخوة (ترتيبه الثالث بينهم)، فقد والده وهو صبي بعد أن فقد بصره تماما في حوالي الثالثة عشرة من عمره، ومع اليتم والفقر والعاهة، واصل الطريق، متخطيا العقبات، مؤمنا بقضاء الله وقدره، وظهرت علائم تفوقه مبكرًا منذ المرحلة الابتدائية في الأزهر (الإعدادية الآن) فألقى دروسًا وخطبا حازت إعجاب الناس به وتقديرهم له، وفي المرحلة الجامعية كان يخطب في مساجد الجمعية الشرعية، وبعد تخرجه شهد له كبار الدعاة من أمثال الشيخ عبد اللطيف مشتهري والشهيد الشيخ محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف الأسبق.

لقد عوضه الله عن فقد البصر وذهاب والده نعمة البصيرة وحب الناس،

ومنحه ذاكرة واعية لاقطة، وحسا مرهفًا دقيقًا، يدل على ذلك، هذا القدر الهائل من المحفوظات الإسلامية والأدبية، وخاصة الشعر القديم والحديث الذي يتخلل استشهاداته وأدلته على ما يقول أو يعرض من قضايا مواقف وآراء.. ثم إنه إلى جانب ذلك أوتي حظًا عظيمًا من ملكة التعبير وحسن الصياغة وجمال البيان، قرب إليه رجل الشارع البسيط ورجل الثقافة العميق، ففهموا عنه وتأثروا به، ومن المفارقات أن مثقفي المقاهي في القاهرة، وهم خليط من الشيوعيين والعلمانيين وغيرهم شدتهم ظاهرة الشيخ كشك في الستينيات والسبعينيات، وكانوا في أول الأمر يسخرون منه ومن خطبه، ولكنهم بعدئذ رأوا فيه نموذجًا فريدًا للمقاومة الرائعة التي لا تخشى إرهابا، ولا تخاف سجنًا ولا تعمل لحساب أحد غير الله.

في مسجد الملك –عين الحياة– أو مسجد الشيخ كشك كما صار يسمى، وإلى الآن– قامت مؤسسة تربوية وثقافية واقتصادية واجتماعية، ويعد الشيخ – رحمه الله– من أوائل من فكروا في دروس التقوية المجانية داخل المساجد، فكان يدرس للطلبة بنفسه علوم النحو والصرف والبلاغة والأدب، وأصدقاؤه يتولون تدريس المواد الأخرى مثل الإنجليزية والفرنسية والجغرافيا والتاريخ والرياضيات، وكان مسجد الشيخ كشك ملاذًا للمأزومين وذوي الحاجات وأصحاب المشكلات والباحثين عن عمل، وكان هؤلاء جميعًا يجدون –بفضل الله– حلا لمعاناتهم، لأن الرجل كان مخلصًا، ويعمل لوجه الله، لا يريد من أحد جزاءً ولا شكورًا... لقد كان مسجده بحق فرعًا من فروع المدرسة المحمدية بكل خصائصها الإنسانية الرائعة، وساعة كان يصعد المنبر يعلن: هنا مدرسة محمد ﷺ، وكان العمل والقول متطابقين في المسجد الذي تحول بحق إلى مؤسسة تحل مشكلات الجمهور دون أن تكلف خزينة الدولة قرشًا واحدًا.

ولكن هل رضيت السلطة بذلك؟ هل شكرت للرجل تعليمه للشباب

وتربيتهم وحل معضلات حياتهم؟ كلا.. بل كافأته على ذلك باستدعاءات كثيرة للتحقيق معه حول ما يقوله على المنبر وفي دروسه، وأدخلته السجن أكثر من مرة، وعذبته، وضيقت عليه، وهو صاحب البصيرة الذي يحتاج إلى من يعينه لا من يعنّيه، وسلطت عليه موظفي الأوقاف بدءًا من الوزير حتى الخفير ترهيبًا له وترغيبًا كي يكف عن مهاجمة الانحراف، والدفاع عن دين الله، وأطلقت عليه الأقلام المأجورة كي تنال منه وتنتقصه وتنسب إليه ما ليس فيه، ولكنه كان مؤمنًا أن الدعوة لها تبعات ودونها عقبات وعليها ضرائب يجب أن يدفعها الداعية في رضا وصبر، وكان يتمثل دائمًا بقول الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكنت أظنها لا تفرج

في مقابل ما تفعله السلطة، كان الشعب يعبر عن حبه العارم للرجل، حتى بعد أن مات السادات وخرج من السجن ليحرم من مسجده وجمهوره، كان الناس يتداولون شرائط خطبه ودروسه، في البيوت والسيارات والمقاهي والنوادي والمحلات العامة.. كان صوت الشيخ يدوي: هنا مدرسة محمد ﷺ... داخل مصر وخارجها... سمعته في بنجلاديش واستانبول فضلاً عن دول الخليج!

ومن أطرف ما كان يوجه إليه من اتهامات: حملته على فوازير نيللي، والتلفزيون والإعلام والكرة، وإثارته الفتنة الطائفية... وكان يرد عليهم بأنه يريد تأخير إذاعة الفوازير حتى يتمكن الناس من صلاة العشاء والقيام، وأن الإعلام أصبح يهدم ولا يبني ويبدد ولا يصون، ويورث ضعف الوازع الديني والتفسخ الأخلاقي، وأن الكرة تحولت إلى رياضة مذمومة، وضررها كالخمر والميسر توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وأن الفتنة الطائفية أبعد ما تكون عن خطبة، فقد تأثر كثيرون من النصارى الذين يحيطون بالمسجد بما يقوله في

خطبه فأعلنوا إسلامهم اقتناعًا وإيمانًا ويقينًا.

وكانت الفترة التي لزم فيها بيته وحيل بينه وبين منبره، فرصة ليخاطب الناس من خلال الكلمة المطبوعة فأنجز على مدى يقرب من عشرين عامًا، قرابة الخمسين كتابًا تبنى النفوس وتهذب الأفئدة على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن هذه الكتب:

طريق النجاة- البطولة في ظل العقيدة -رياض الجنة- بناء النفوس- صور من عظمة الإسلام- أصحاب النفوس المطمئنة- اليوم الحق- إرشاد العباد- أضواء من الشريعة الغراء- شفاء القلوب- حديث من القلب- الإسلام وأصول التربية- ورثة الفردوس- مصارع الظالمين- الصلح مع الله- غذاء الروح- في رحاب السكينة- منطق الحق المبين.....

وقد سجل الشيخ -رحمه الله- مذكراته في كتاب يبلغ نحو ثلاثمائة صفحة بعنوان «قصة أيامي»، وتضمن مسيرته الإنسانية والعلمية والاجتماعية منذ مولده حتى عام ١٩٨٦ أي قبل وفاته بعشر سنوات تقريبا (ت١٩٩٦)، لقد ملأ الدنيا وشغل الناس، ولكنه لم يسع إلى ذلك بقدر ما كان يحلم بإصلاح المجتمع على منهج الله.

أتيح لي أن أقابله في أوائل السبعينيات (عقب حرب رمضان) مرة واحدة، ففوجئت به يذكر مقالاتي المتواضعة في مجلة «الاعتصام» -رد الله غربتها- ويثني عليها، بما تصورته فوق حقها، ورأيت فيه العالم العامل، الفلاح البسيط الذي لم تغير منه المدينة بكل جبروتها شيئًا، ورأيته كأنه يحيا بالقرب من قريتي التي لا تبعد عن مكان مولده بضع كيلومترات، يمتلئ حيوية وأملاً وإشراقًا، مع صفاء نفس وطيبة قلب ورغبة عارمة في خدمة الدين والوطن والأمة... وبعد هذا يأتي صاحب قلم -أعرف تاريخه جيدًا- ليصف الرجل بأنه نصف أمي؟ المفارقة أن الواصف هذا يحمل دبلوم معلمين نظام ثلاث سنوات بعد الابتدائية... ولله في خلقه شئون!.